في الصيف قال يا مريم أنى لك هذا قال أبو عبيدة معناه من أين لك هذا وأنكر بعضهم عليه
وقال معناه من أي جهة لك هذا لأن أنى للسؤال عن الجهة وأين للسؤال عن المكان قالت
هو من عند الله أي من قطف الجنة قال الحسن حين ولدت مريم لم تلقم ثديا قط كان يأتيها رزقها
من الجنة فيقول لها زكريا أنى لك هذا قالت هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة إن الله يرزق
من يشاء بغير حساب قال محمد بن إسحق ثم أصابت بني إسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى
ضعف زكريا عن حملها فخرج على بني إسرائيل فقال يا بني إسرائيل تعلمون والله لقد كبرت وضعفت
عن حمل بنت عمران فأيكم يكفلها بعدي قالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من السنة ما ترى
فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالأقلام فخرج السهم على رجل نجار
من بني إسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم مريم فحملها فعرفت مريم في وجهه
شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن بالله الظن فإن الله سيرزقنا فجعل يو
سف يرزق بمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها في الكنيسة
أنماه الله فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف
فيقول يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب
قال أهل الأخبار فلما رأى زكريا ذلك قال إن الذي قدر على أن يأتي مريم بالفاكهة في غير
حينها من غير سبب لقادر على أن يصلح زوجي ويهب لي ولدا في غير حينه على الكبر فطمع في الو
لد وذلك أن أهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا قد شاخ وأسن وأيس من
الولد قال الله عز وجل هنالك أي عند ذلك دعا زكريا ربه فدخل المحراب وأغلق الأ
بواب وناجى ربه قال رب أي يا رب هب لي أعطني من لدنك أي من عندك ذرية طيبة
أي ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تكون واحدا وجمعا ذكرا وأنثى وهو هاهنا
واحد بدليل قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا وإنما قال طيبة لتأنيث لفظ الذرية إنك سميع
الدعاء أي سامعه وقيل مجيبه كقوله تعالى إني آمنت بربكم فاسمعون أي فأجيبوني فنادته
الملائكة قرأ حمزة والكسائي فناديه بالياء والآخرون بالتاء فمن قرأ بالتاء فلتأنيث
لفظ الملائكة وللجمع مع أن الذكور إذا تقدم فعلهم وهم جماعة كان التأنيث فيها أحسن
كقوله تعالى قالت الأعراب وعن إبراهيم قال كان عبد الله بن مسعود يذكر الملائكة في
القرآن قال أبو عبيد إنما نرى عبد الله اختار ذلك خلافا على المشركين في قولهم الملائكة بنات

الله وروى الشعبي أن ابن مسعود قال إذا اختلفتم في الياء والتاء فاجعلوها ياء وذكروا
القرآن وأراد بالملائكة هاهنا جبرائيل وحده لقوله في سورة النحل ينزل الملائكة يعني جبرائيل
بالروح يعني بالوحي ويجوز في العربية أن يخبر عن الواحد بلفظ الجمع كقولهم سمعت هذا الخبر من
الناس وإنما سمع من واحد نظيره قوله الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود إن الناس
يعني أبا سفيان بن حرب وقال المفضل بن سلمة إذا كان القائل رئيسا يجوز الإخبار عنه بالجمع
لاجتماع أصحابه معه وكان جبرائيل رئيس الملائكة وقل ما يبعث إلا ومعه جمع فجرى ذلك
وهو قائم يصلي في المحراب أي في المسجد وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذي يقرب القربا
ن ويفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى يأذن لهم في الدخول فبينما هو قائم يصلي في المحراب
يعني في المسجد عند المذبح يصلي والناس ينتظرون أن يأذن لهم في الدخول إذا هو برجل شاب
عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبرائيل يا زكريا أن الله يبشرك قرأ ابن عا
مر وحمزة إن الله بكسر الألف على إضمار القول تقديره فنادته الملائكة فقالت إن
الله وقرأ الآخرون بالفتح بإيقاع النداء عليه كأنه قال فنادته الملائكة بأن الله يبشرك
قرأ حمزة يبشرك وبابه بالتخفيف كل القرآن إلا قوله فبم تبشرون فإنهم اتفقوا على
تشديدها ووافقه الكسائي هاهنا في موضعين وفي سبحان والكهف وعسق ووافق ابن كثير
وأبو عمرو في عسق والباقون بالتشديد فمن قرأ بالتشديد فهو من بشر يبشر تبشيرا وهو
أعرب اللغات وأفصحها دليل التشديد قوله تعالى فبشر عبادي وبشرناه بإسحق قالوا
بشرناك بالحق وغيرهما من الآيات ومن خفف فهو من بشر يبشر وهي لغة تهامة وقراءة
ابن مسعود بيحيى هو اسم لا يجر لمعرفته وللزائد في أوله مثل يزيد ويعمر وجمعه يحيون
مثل موسون وعيسون واختلفوا في أنه لم سمي يحيى قال ابن عباس لأن الله تعالى أحيا
به عقر أمه قال قتادة لأن الله أحيا قلبه بالإيمان وقيل لأن الله أحياه بالطاعة حتى لم
يعص ولم يهم بمعصية مصدقا نصب على الحال بكلمة من الله يعني عيسى عم كلمة لأن الله
تعالى قال له كن من غير أب فكان فوقع عليه اسم الكلمة لأنه بها كان وقيل سمي كلمة لأنه يهتدى
به كما يهتدى بكلام الله وقيل هي بشارة الله مريم بعيسى بكلامه على لسان جبرائيل
عليه السلام وقيل لأن الله تعالى أخبر الأنبياء بكلامه في كتبه أنه يخلق نبيا بلا أب فسماه كلمة
لحصوله بذلك الوعد وكان يحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكان يحيى أكبر من عيسى

Copyright © King Saud University